الفنون

فرانسسكو جويا

GOYA

للدكتور أحمد موسى

يعد جويا من أغرب شخصيات القرن التاسع عشر وأبعدها أثراً فى الفن . ظل يصور حتى تجاوز الثمانين من عمره ، وقضى حياة حافلة بمختلف الحوادث والعبر ، وبوفاته انتهى دور من أهم أدوار الفن الأسبانى

ولد فرانسسكو جويا فى ٣٠ مارس سنة ١٧٤٦ فى فونديتودرس إحدى القرى الصغيرة فى مديرية أراجون لوالدين فقيرين اشتغلا بالفلاحة فى قطعة صغيرة من الأرض كانت مصدر حياتهم ؛ فكانت طفولته مليئة بالعمل والتعب والملل .

وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره رسم شكلا تخطيطياً للخنزير على حائط مسكنه الريفى ، وشاهد أحد الرهبان هذا الرسم مصادفة فوجد فيه ما يدل على استعداد راسمه ؛ فتقدم إلى والده ناصحاً بأن يذهب بابنه إلى فنان يقيم فى سرقوسه وهى أقرب البلدان إلى قريتهم

كان أول معلميه چوزى لوزان مارتنز ، فعرف منه كيفية تحضير الألوان وشد قماش اللوحات فى الأطار ، وما إلى ذلك من وسائل العمل نظير خدمته لمعلمه

وفى مدة وجيزة استطاع جويا أن يفهم الأسرار العملية لمهنته التى ولد لها ، وأمكنه أن يصور بعض تفاصيل مهمة على لوحات معلمه ، ولم تنقض ثلاث سنوات حتى رخّص له مارتنز برسم لوحات بأجمعها —

جمع جويا بين ظاهرة العبقرية الفنية وبين قوة العضلات ؛ فكان يمضى أوقات فراغه فى الرياضة البدنية والمصارعة والجرى وحمل الأثقال

وكان محبوبا من بنات البلدة اللواتى كن يحضرن لمشاهدة مصارعته مع أمثاله الذين تغلب عليهم دائماً . وكان كثير التردد على القهوات والحانات فكان روادها يخشون بأسه .

بدأ جويا حياته الفنية بتصوير المذراء ، فأخرجها إخراجا أنيقاً فى ثوب رقيق وقوام رشيق . ومع هذا السمو كنت تراه أحياناً يغنى أغانى شعبية عامية لا تنسجم مطلقاً مع مصوراته فى ذلك الحين ، كما كان عصبى المزاج سريع الغضب سريع البطش

عاد فى آخر الليل مرة مع أصدقاء له إلى المدينة فصادفه فى حارة قذرة من حاراتها نفر من قطاع الطرق الذين أرادوا به وبأصدقائه شراً ، ولكن جويا بمساعدة رفاقه استطاع مطاردتهم وقتل ثلاثة منهم

ولم يدرك العرصه تسنح للقبض عليه ففر هارباً إلى مدريد . ظهر فى العاصمة كفنان بسيط ، ولم ير سبيلاً إلى العيش لأنه

ترومينَ منى الوُدَّ بُقيا عَلَى الذى
مضى..! اخاب فألى أن أرى غير ثائب
ترومين منّى الودّ ! . . تلك عجيبة
وَأسعى لذبحى ! تلك أمُّ العجائب
تشهّيت لحماً . . افَاتَ ماتشتهينه فلم يبق من لحمى طعامٌ لساغب
تملّيت هذا البغض حتى رأيتُنى أربب حيَّاتى وَأغذو عقاربى
فإن يك بُغضى كلّ ذنب جنيته إليك . . ! فانى لست منه بتائب
وَكيف ! . . وَقد أنهكتنى وَعرقتنى
وَقدت عَلَى قلبى جيوش النوائب !
ذرينى . . . وَلكن الحياة مليئة
بكم . . . فما فى الأرض منجى لهارب

محمود محمد شاكر

لم يكن يعرف أحداً فيها . كان دائب البحث عن أى عمل ولكنه كان يعود مساء كل يوم كسير القلب إلى الملجأ الذى أقام فيه

وفى صباح يوم وجد المسكين فى إحدى الأزقة الضيقة وقد اعتدى عليه بالسكاكين فأخذه أولئك الذين كان يقيم معهم وعنوا به حتى شفى من جراحه

علم البوليس بأنه من العاطلين المدمنين على شرب الخمر فطارده إلى خارج العاصمة ، فذهب إلى حلبة مصارعة الثيران واستطاع أن يجد عملاً حقيراً نظير أجر بسيط ادخر معظمه حتى تمكن به من الوصول إلى إحدى موانى أسبانيا الجنوبية حيث أبحر إلى شاطىء إيطاليا الغربى . وصل إلى روما وهناك أمكنه العمل عند فنان شعبى راجت حاله

وعند هذا الفنان تعرف إلى أناس لا يميلون بطبعهم إلى العلم ولا إلى التعليم وإنما هم من أولئك الذين تجتذبهم حياة الشوارع وما فيها من وسائل لقتل الوقت

ومال بطبيعته وبحسب استعداده وبعامل البيئة التى عاش فيها إلى تصوير مناظر الأزقة والحارات والقهوات على نقيض الفنانين الآخرين الذين كانوا كثيراً ما يتحاشون إظهار هـذه المواقف على لوحاتهم

وهذه نزعة لم يسبق أحد إليها خصوصاً وأنه أكثر من تصوير الوجوه الثائرة والمناظر الشاذة المتصلة بحياة الجمهور والنوغاء مباشرة ، حتى لترى هذه المسحة على معظم لوحاته التى تعد بحق خير مسجل لشخصية مصور من أنبغ فنانى القرن التاسع عشر

صعد يوماً إلى قبة كنيسة بطرس ليحفر الأحرف الأولى من إسمه ، ولا تزال محفورة إلى اليوم . وهكذا كانت إقامته فى روما غريبة الأطوار . وقد تعرف فيها بسفير روسيا الذى طلب إليه السفر إلى بطرسبرج ليكون مصوراً للقصر . وفى أثناء المفاوضة فى هذا الشأن قُبض عليه بتهمة تحريض أحدى الراهبات على عمل غير شريف . ولولا اتصاله الوثيق بسفير روسيا لما استطاع الأفلات من يد العدالة

كان جويا تعساً فى غربته ، وكان دائم الحنين إلى بلدته ، ورأى فى إقامته الطويلة بروما تكفيراً كافياً لسابق جرائمه ، فعاد إلى مدريد سنة ١٧٧٥ وتزوج من يوزيفينا بايو شقيقة الفنان فرانسسكو بايو الذى كان مصوراً فى قصر مدريد والذى بوساطته استطاع جويا أن يقوم بعمل تصميمات لمناظر وزخارف الأقمشة التى كانت تُغطى بها حوائط القصر . وأول تصميم له نُسج على قماش لهذه الغاية سنة ١٧٧٦ ، واستمر حاله هكذا حتى سنة ١٧٩١ ، وتدرج فى التقرب من سادة القصر وتقدم فى فنه تقدماً عظيماً حتى أصبح أبرز فنانى عصره فى أسبانيا ، وعمل لوحات مثلث الحياة على الصورة التى تتلقات فى نفسه كما صور أكبر الشخصيات

كان جويا فناناً بكل معانى الكلمة ، كما كان بوهيميا فى علاقته الزوجية ، ولم يخل تاريخ حياته من فضائح أهمها اتصاله بأميرة إلبا التى عشقها عشقاً ملك عليه مشاعره فصورها على لوحات تجل عن الحصر فى مواقف مختلفة ، وكان يعيش فى جناح من قصرها . أما هى فكانت تتوجه من حين لآخر إلى زوجته وأولاده وتقدم اليهم العطايا والهدايا

ولم تكن الملكة راضية عن هـذه العلاقة ؛ فعملت ترتيباً

أخرجت به الأميرة من القصر إلى جهة نائية . سافر جويا بصحبة معشوقته فى عربة خاصة كُسرت عجلتها فى الطريق الوعر ، فقام بعمل الاصلاح اللازم كما لو كان حداداً ماهراً ، وأمكن السير بالعربة إلى أقرب قرية لتغيير العجلة . تعرض جويا بعد هذا المجهود للهواء البارد فأصيب بصمم فى احدى أذنيه لازمه حتى آخر حياته

مضت الأعوام وعادت الأميرة إلى مدريد وماتت بعد وصولها . وعاد هو لتصوير مناظر دلت على منتهى الحنق والحقد على النساء ، كما دلت على كثير مما خالج نفسه من البؤس والشقاء

زحف الفرنسيون على مدريد فقابلهم جويا بكل ترحيب وانضم إليهم بقلب مطمئن ، وبعد خروجهم منها وجهت إليه تهمة الانضمام للعدو ؛ إلاّ أنه تمتع بالعفو لكبر سنه

بدأ الهدوء يدب إلى نفسه ، واستمر يصور لوحاته ، وأكمل مجموعته بالقلم الرصاص حتى بلغ السابعة والسبعين ، ثم رحل إلى بوردو عملاً بمشورة طبيبه ، ولم يترك التصوير مع ضعف بصره ، بل كان يستعين بالمجهر . وآخر لوحة له صورها فى سن الحادية والثمانين ، ومات بعدئذ بسنة واحدة سنة ١٨٢٨

هذه هى ترجمة فنان لم يكن له نظير فى مجرى حياته ولا فى قوته الانشائية لمجموع لوحاته التى من أشهرها صورة (البقرة العمياء) تمثل مجموعة من بنات وشبان تتوسطهم بنت مغمضة العينين تبحث عمن يناديها (محفوظة بمدريد) ، وصورة (الفداء فى النيط) وفيها مثل الطبيعة تمثيلاً رائعاً (محفوظة بلندن) وصورة (النزهة فى الأندلس) وكانت مرسومة خصيصا للنسج (محفوظة بمدريد) وصورة الولد النطاط وهى من أدق الصور التى تدل على منتهى قوة الملاحظة والاخراج : وقفت اربع بنات يحملن ملاءة كبيرة وفوقها صبى واقف على ساق واحدة استعدادا للقفز إلى أعلى عندما يشددن الملاءة

وصورة (المشاجرة فى الملجأ) وهى من أحسن صوره ، تذكرنا بوقت بؤسه عندما كان بعيداً عن بيته يبحث عن عمل ولم يجد إلا ملجأ حقيراً يأوى اليه . والناظر فيها يأخذه العجب عندما يرى أنها تمثل حياة الملاجىء تمثيلا صادقا ؛ صور عليها بعض الحيوانات وبعض الأشجار وعربة قديمة فى ركن من اللوحة ؛ أما بوسطها فقد وقف المتشاجرون موقفا عنيفا لايستطيع غير جويا أن يخرجه فى هذه القوة

وله لوحة خالدة (محفوظة بمدريد) اسماها (الرمى بالرصاص) على يمينها وقف الجنود شاهرين بنادقهم ، وعلى اليسار اصطف المنبوذون مستسلمين للأعدام ، وقد أعطى الصورة ظلا ونورا قويين قلما تراهما لغيره من الفنانين

هذا غير لوحاته العظيمة للشخصيات البارزة فى عصره ، كصورة مارى لويس ، وصورة فرديناند السابع وصورة أمير الكاديا وغير ذلك مما يجل عن الحصر

وله لوحات تعد من أغرب ما تركه فنان ، منها صورة (شجرة الربيع) ، وهى تمثل صبية التفوا حول رجل يحمل ساقا طويلة ثبت فى أعلاها شجرة صغيرة وولدان صغيران يتسلقان الساق

أما لوحته (بالقلم الرصاص) الممثلة لحلبة مصارعة الثيران فهذه تعد فى مجموعها من أعظم ما أخرجه ؛ فقدرته على تصوير الثور الثائر والمصارع الماهر لاسبيل إلى وصفها .

أحمد موسى

أعداد الرسالة الممتازة

إدارة نشر وترويج الصحف العربية بشارع محمد على بالقاهرة لصاحبها محمد مصطفى الفقيه تعلن جمهور (الرسالة) بأن لديها كمية محدودة من الأعداد الممتازة رقم ٤٢ و ٩٣ و ١٤٦ ، ترسل إلى من يطلبها بسعر ثلاثين مليما للعدد الواحد خالصاً أجرة البريد فى مصر والسودان وأربعين مليما فى البلاد الأخرى

أيتها المرضى بالبول السكرى
لا يجب لكم أن تيأسوا من شفائكم أو تهملوه
قبل أن تجربوا الدواء الجديد
أنتيكومان !
قرن الدواء محضر بناءً على أحدث الأبحاث
العلمية الخاصة بهذا المرض .
اطلبوا البيانات اللازمة مجاناً من
جلا نهورمين . صندوق بوستة ٢١٠٥ مصر